الصــراع الأســري على الحكــم «١٠»

المعــادل الآخر لتخلف اليمـن

طال الحصار عليه مضت أشهر وهو على ذلك الحال حتى كاد التموين من الماء والغذاء أن يكمل عليه وقد ضعفت روح المقاومة لديه ولدى جنوده إلى حد كبير.

لكنه ذلك المغامر المغوار الذي لا يبالي بالخطوب له سيف ورمح وبندقية أي منها يفلح في المواجهة فهو سلاحه، المحاصرين له يفاوضونه على التسليم بأسرع مايمكن أمنين مطمئنين أنه مهزوم لا محالة والمسألة لديهم ماهي إلاّ مسألة وقت لا أقل ولا أكثر وهو أثناءها يعد لهم الخطط للخروج من الحصار المضروب عليه دبر أمره في ليل وأخرج الأموال التي جمعها من الرعية وأنفق بسخى للأنصار وللقبائل المجاورة خاصة «الزريقة» وغيرهم الذين هم أقرب مجاوريه وبفعل ذلك الرشى والمراضاة أوجدوا له منافذ للتموين عن طريق المقاطرة وكسبهم في القتال إلى صفه فرفع ذلك من معنوياته ومعنويات أنصاره فتنفس الصعداء وأتاح أمامهم مجالاً واسعاً للحركة والمناورة.

تظاهر أمام محاصريه أنه جاهز لتسليم نفسه كما طلبوا منه ليس له من شروط عليهم سوى أن يوفروا له الجمال لحمل متاعه الشخصي وهم على ذلك الحال جاهزون بجمالهم وهو بحاله جاهز لخوض المعركة ضدهم، هم مسترخون راكنون على قوتهم العددية وهو مضطرب كيف يعالج وضعهم بقلة ما بيده، هي مغامرة بالفعل حيث موازين القوى لم تكن بصالحه من كل الأوجه هم أكثر عدداً وأوسع تحالفاً ومالاً وسلاحاً..من جانبه على كل حال هو كما يقول المثل «إما بها إما عليها» فهو لايتردد من أن يغامر يخطئ أو يصيب وقد جرب خلال المراحل التي سبقت في صراعه مع والده أو مع الإمام المؤيد الصغير مثل تلك المغامرة التي غالباً ما تفضي له إلى مكاسب.

وبخبرته العسكرية هاجم المحاصرين له فجاة في مواقعهم مستغلاً هطول الأمطار الغزيرة على المنطقة وهم في خيامهم وفي أماكن كنانهم هادئين لم يتوقعوا ذلك أبداً فقد حضروا له الجمال حسب الاتفاق بينهم وبينه ليرحل وكل ما هم منتظرين له هو ظهوره ثم خروجه مستسلماً وعوضاً أن يخرج إليهم رافعاً الراية البيضاء في يوم مشمس خرج إليهم رافعاً سيفه ومقاتلاً لهم تحت بروق ورعود وأمطار غزيرة وليل أدت المباغتة وليست المعركة حقيقة في الأخير إلى هزيمة الجموع وتحقيق الانتصار الذي لم يكن متوقعاً بهذه السهولة واليسر.

وفي رواية أخرى قال محمد بن يحيى الحداد في كتابه التاريخ العام لليمن مجلد ٣ ص١٠١ عن هذه الواقعة إلى أن الأمطار قد اضطرت «الإمام يوسف بن المتوكل والأمراء الذين بجانبه إلى اللجوء إلى قبة قريبة من معسكرهم ولم يشعروا إلاّ بهجوم الإمام المهدي عليهم ليلاً والقبض عليهم وتقييدهم والصعود بهم إلى معتقلاته في الحصن الدملؤة في المنصورة.

وفي هذه الحالة يأتي كيف تحول النصر إلى هزيمة لدى خصومه نفسياً ومعنوياً، لاشك أن قوة الصدمة كانت عظيمة في النفوس ومؤلمة جداً وأشد قساوة على قلوبهم وعقولهم خاصة أنهم لم تراودهم أنفسهم أو يتوقعوا أن يكون مثل هذا الغدر والخديعة ستحل بهم بهذه الصورة المزرية والشنيعة ويتقرر مصيرهم فيها على هذا النحو وماذا سيقول الأخرون عنهم غير البكاء واليأس أو الشماتة والازدراء، وتشتتوا بعدها في كل طريق غير قادرين على المقاومة أو الصمود، كلما عملوا أن البعض سلم نفسه وصار تحت رحمته كابنه عبدالله وأخوه اسحاق والبعض الآخر فر هارباً ولم يأخذ من أشيائه إلاّ ما في يده أو الملابس التي على جسده كيوسف بن المتوكل «فتخزعوا» أي تفرقوا وتشتتوا هنا وهناك بدون دليل.وبذلك لم يعد حال الناصر كما قال الشاعر السمحي:

يقولون قد ضاق الخناق محمداً
وحل به داعي الرداء والحوادثُ
أخ وبن صلب وبن عم تحالفوا
فما تنقي منهم رماح عوابثُ

ولكن صار حاله كما قال الشاعر محمد بن حسين المرهبي:

كان المدار عليه أمس وإنه
لليوم يزار من أمام الدار
ظفر الإمام بصنوه وبنجله
فيها وما المظفور ضد الضافر.. (١)

وفي الحقيقة لقد أثبت الناصر انه ماكر داهية رجل سيف أكثر من أي شيء آخر استخدم السياسة لتحقيق أهدافه بكل ماهو معطى لديه وممكن في الواقع المحيط به.. يعمله.. لايهمه إن كان ذلك صح أو خطأ فليس هو كالإمام المؤيد الصغير الذي يقدم له الطعام فيسأل إن كان هذا حلال أم حرام أبداً إنه يجني الزكاة والضرائب حلال أو حرام المهم لديه جمع المال وتسيير الأجناد.

وفي هذه الأوضاع يجري التساؤل عن شجاعة هذا الإمام وقوة شكيمته ورباطة جاشه إلى هذا الحد من المقدرة الحربية التي أنزلت الهزيمة النهائية في خصومه ومنافسيه من أسرة آل القاسم وثبت الإمامة لنفسه لمايزيد عن ٣٠ عاماً من أين جاءت؟

وهنا تعود الإجابة على مثل هذه التساؤلات إلى نشأته الأولى فوالده هو المهدي أحمد بن الحسن الذي كان رجل حرب من الطراز الأول في عهد عمه الإمام المتوكل على الله اسماعيل..

فقد كان آنذاك بمقام وزير الدفاع بمصطلح عصرنا وهو الذي افتتح البلدان وتوحدت في عصره البلاد كما تشهد على ذلك سيرته..

فأخذ الناصر محمد بن احمد عن والده الشيئ الكثير من فنون الحرب والسياسة وقد رافقه في كثير من حروبه وأعماله إبان تلك السنوات الصعبة من الحروب إلى أن تولى عاملاً على الحجرية في عصر المتوكل على الله اسماعيل ثم في عهد والده فانعكس ذلك على سلوكه وعمله..

كان صاحب تمردات وعصيان بصفة مستمرة وهو في قلعة المنصورة حتى أنه لقب بصاحب المنصورة من كثرت الإشكاليات التي كان يصنعها للأئمة ولولاة المناطق المجاورين له كما سبق الإشارة إلى ذلك.

أيضاً أنه أكتسب خبرة من مشاهدته ومعايشته لطبيعة الصراع الأسري على الحكم فاستفاد وتمرس وعرف أن الغلبة في الأخير لمن بيده المال والسلاح وهذا ماتوفر لديه ولكنه أيضاً أحسن التدبير والتخطيط والاستفادة من هذا المال بالنظر إلى أن من جمعوا أموالاً غيره من الأمراء والأئمة لم يفلحوا فيما دعوا إليه من الإمامة أو الاستمرار في الإمارة..

فقد كان الإمام الناصر سخياً في العطاء إلى حد أنه أنفق أمواله من أجل تامين وضعه واستقرار حاله وتحقيق طموحاته لكنه كان منفراً لمن حوله بسبب اضطراب سلوكه وتناقضاته في أوامره ومعاقبة مخالفيه بجلافة وعنف كما قال يحيى بن الحسين «فنفرت نفوس كثير من الأعيان والرؤساء والقادة الكبار من المشائخ النقباء والعقال ولم يصبر على حاله إلاّ القليل لما يبذله من المال والبرطيل» (٢).

فقد استخدم تقديم الرشاوى أكثر من غيره من المنافسين على الإمامة ومن قبلها في الإمارة فعرف عنه هذه الصفة ففضله الكثير من المحاربين عن غيره إلى أن وصل الأمر أن عساكر علي بن المتوكل الذي كان مجاوراً له في الحكم في تعز قد هربوا إلى صاحب المنصورة وشكوا أحوالهم ومن أن علي بن المتوكل لم يعطيهم إلاّ القليل من رواتبهم «فأنصفهم وقررهم عنده بجوامكهم وأخذ أيمانهم أنهم منه وإليه مع الوفاء لهم» (٣).

وما دامت يده ممدودة وفلوسه كثيرة فإن الناس بالفعل وفقاً لما هو ساري ومشاهد في هذه البلاد منذ أزمان هو تفضيلهم للمصالح الشخصية على غيرها من المصالح العامة فمن أجزل العطاء لهم فهم جنده وعسكره أما من له الحق فهي ليست مسؤوليتهم هي مسؤولية من يقودهم في الحروب لذلك لم يصلح للأمة أي أمر من أمورها فيما مضى لتفضيل المصالح الشخصية على العامة فإذا كان «البرطيل» وهو مصطلح أشير إليه في كتاب المؤرخ يحيى بن الحسين «بهجة الزمن» كان طريقاً لدى صاحب المنصورة قبل مايزيد عن ٣٠٠ عام للوصول إلى الإمامة فإنه في عصور لاحقة قد ورد مصطلح آخر وهو حق «بن هادي» كطريق لشراء الموظفين في الدولة وثانيهم للوظيفة لأجل حق بن هادي وليس للدولة.

ثم تطور هذا المصطلح فيما بعد ليصبح «الكميشن» والتوقيع والختم وهذه المفردات هي من أرهقت الدول وخربت أنظمتها وأدخلتها في متاهات الفتن والحروب في أغلب العصور ويمكن الاستنتاج في ضوء ذلك أن مثل هذا الإرث من الرشوة التي عرفه اليمن منذ أزمان يعود إلى ثقافة ماضية ومتواصلة تغلب المصلحة الخاصة على العامة باستمرار لحالة تاريخية عرفت بها المجتمعات في الجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص في اليمن وهي الحروب لأجل الغنيمة، أغلب المحاربين يبحثون عن مصالحهم الشخصية والطامحون يبحثون عن السلطة في معمعة هذه الحروب فكل إمام اتسم بالبخل لم يسلم من الهزيمة في الحرب أو القتل على يد أنصاره لأنه قد خرج عن المألوف وأخل بما كان عليه الحال وبذلك تكون النتيجة العطاء المالي مضافاً إليه السيف هما اللذان حكما كافة المعادلات السياسية في التاريخ العربي الإسلامي في كثير من الحالات «لكم السلطة ولنا الغنائم والمال»..

كان بني أمية أجزل عطاء وأدهى في العمل السياسي قادوا العامة وبهم حققوا النصر أمام أصحاب المبادئ الذين حاولوا مقارعة ومحاربة خصومهم بطرحهم أفكار على هذا النمط المبدئي واقناع المحاربين بها فكانت المصلحة أقوى من المبادئ وأولى من غيرها لديهم فانتصرت الأموية على العلوية وهذه هي السير للحكام في تلك العصور تتوارثها الأجيال في مختلف المراحل.

الناس يفضلون مصالحهم الشخصية، فـمن أجـزل العطاء لهم فـهم جنده

الإمام الناصر في ذمار

بعد معركة الحسم على تخوم المنصورة توارى الداعون للإمامة بعد فشلهم الذريع في الساحة وذهبوا في كل اتجاه، القبائل لم تعد مناصرة لهم والأقربون من أسرهم كل يداري على نفسه إما بالمبايعة أو بالهروب أو بالسكوت، آخر المحاولات التي بذلها يوسف بن المتوكل لمناوئة الناصر هو الاتصال بقبائل همدان وبني الحارث وخولان وغيرهم الذين أركنوه لمثل هذا اليوم لكنهم لم يستجيبوا له بل تسابقوا للتنصير للإمام الناصر فأوقدوا النيران في اسطح المنازل وعلى قمم الجبال.

ووجد الناصر نفسه بعد كل هذا أنه قد تآزر بنصر مبين وأن الأخرون قد وأدت طموحاتهم ولم يعد لها لا روح ولا حياة وأصبح حال يوسف بن المتوكل كما وصف «قد بلغ فيه الركة والضعف الحد الذي لامزيد عليه وتقاتل الناس حوله ولم يبقى له متابع ولم يبقى في يده شيء من المال ولا الرجال» (٤).

وأصبح حاله كقول الشاعر أبي تمام:

لننما وصرف الدهر ليس بنائم
خرمنا له قسراً بغير خزائم
ألماً فهذا مصرع الباس والندى
وحسب البكاء إن قلت مصرع هاشم.. (٥).

وجد الإمام الناصر أنه فعلاً انتصر ولم يعد مقره بالمنصورة بالحجرية مناسباً للحكم لتغيرات كثيرة أهمها بعده عن المناطق الشمالية المضطربة والتي عادة ما يتحصن فيها الداعون للإمامة وخصومه السياسيين على وجه أخص فقرر الرحيل إلى ذمار وهناك خيم في شرق ذمار ثم شيد حصن هران في شرقها وأخذ يباشر الحكم في كل مكان ويستقبل المهنيين ويجمع الجيوش حوله متمظهراً بمظاهر الملوك لا بمظهر الزهاد، وأول إجراءاته أن طلب أحد مساعدي حسين بن المتوكل والي صنعاء وهو زيد بن علي الجملولي الاهنومي طلبه إلى ذمار وحين وصل إلى حضرة الناصر أمر بقطع رأسه مرجعاً ذلك انه كان وراء الاضطرابات والمشاكل التي حصلت وما أن طار خبر الإعدام هذا في جميع أنحاء الخطة اليمانية إلاّ والجميع مذعورون خائفون لايجدون لأنفسهم من وسيلة سوى الهروب داخل البلاد وخارجها يحتمون في مكة أو في قبب الأئمة ومساجدهم في عمران والغراس..

وكانت الأوضاع على النحو الذي وصف بها المؤرخون حالة المهزومين:

«خفقت القلوب لهيبته وضاقت بآل الإمام المسالك فكانت صعدة المأوى لهم وإليها تتابع الهراب من آل الإمام» (٦).

وليست صعدة فحسب هي المأوى إنما أيضاً مكة والهند فمن بطشه فر هارباً إلى مكة الحسن بن المتوكل الذي عزم بأهله وأولاده وكذلك أخيه الحسين وأمير كوكبان بن عبدالقادر وأمير صعدة وآخرون كثيرون مثل أحمد بن احمد الآنسي المعروف بالزنمة الذي وصل إلى شريف مكة أحمد بن غالب وطالبه في قصيدة طويلة إنقاذ اليمن من هذا الإمام الجائر قائلاً فيها:

فانهض إلى اليمن الميمون قد عبثت
به الأرذاذ أهل البغي والعطب.. (٧).

وكذلك هرب إلى الهند اسحاق بن محمد العبدي، كما هرب إلى عمران القاضي يحيى السحولي وهرب القاضي جباري إلى الغراس ليحتمي بقبة المهدي هناك لعل وعسى.. كما أن كثير من علماء اليمن وفضلائها قد أعلنوا تبرمهم من تصرفاته ومن طريقة حكمه الجائر للرعية وقتله للخصوم ومن هؤلاء العلامة صالح بن مهدي المقبلي المقيم في مكة الذي وجه رسالة مطولة يذكره فيها بالأعمال الصالحة في سيرة الخلفاء الراشدين والأئمة الصلحاء ويبصره بأن أعماله تلك مخالفة للشرع وللدين سواءً في القتل أو في أخذ الأموال أو في تقريب إليه من الأشخاص من لايستحقون أن يكونوا في ذلك المكان بما يقدمونه له من الاستشارة والنصح الذي يعود الضرر منها على المجتمع وعليه ويؤجج الثورة ضده..(٨)

وكذلك محمد بن اسماعيل الأمير الذي وصفه بأنه سفاك للدماء في قصيدة له يقول فيها:

إن المواهب قد شاهدت صاحبها
وكان في جوده كالعارض الهتني
سفاك كل دم عاداه صاحبه
مفرق منه بين الرأس والبدن
هتاك كل حمى إن لم يطاوعة
كم من معاقل أخلاها ومن مدن.. (٩)

وبذلك اجمع على عدم أهليته العلماء والفضلاء أجمعين الأقربين والبعيدين وتذمر من سياسته الرعية والمواطنين فأصبح في محل نبذ وخصومة لدى الخاص والعام فقد شرد الجميع داخل البلاد وخارجها من أسرته وكان نهاية الإمام يوسف بن المتوكل بعد مشواره الطويل هو السجن لمدة ١٧ عاماً فتفرق الجميع وكان حالهم كما وصف «إنهم تمزقوا ومن كان معهم في الجهات كلٌ على وجهة متفرقين ليس لهم هم إلاّ النجاة» (١٠).

ومن العجائب التي سجلها التاريخ عن هذا الإمام صاحب المواهب الذي ظل متمسكاً بالإمامة والحكم على أشد ما يكون وهو لايحوز على شروطها هو الذي في وقت سابق لم يقر لوالده المهدي أحمد بن الحسن بالإمامة لأنه لايحوز على شروطها: (١١)

مع أن الفرق شاسع بينهما بأفضلية الأب على الإبن ومع ذلك تجرأ ليقول مثل ذلك القول وفي الحقيقة ليس من أجل الإمامة ولكن لغرض في نفس يعقوب.

إن أفضل وصف موجز وُصف به هذا الإمام «صاحب المواهب» هو ما ورد في كتاب البدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني في المجلد الثاني ص٣٠ «قد عظمة دولته وجلت هيبته وتمكنت سطوته وتكاثرة اجناده وصار بالملوك أشبه منه بالخلفاء وكان يسمى صاحب السجدة لأنه كان إذا خرج من موكبه ورأى ما بين يديه من الأجناد المالية للقضاء ترجل عن جواده وسجد شكراً لله تواضعاً ومرغ وجهه في الأرض وكان سفاك للدماء بمجرد الظنون والشكوك وقد قتل عالماً بذلك السبب وشاع على الألسن أنه كان يأتيه في الليل من يخاطبه بأنه يقتل فلان وينهب مال فلان ويعطي فلان ويمنع فلان فإذا كان النهار عمل بجميع ذلك، ولعل هذا المخاطب له من مردة الجن وكان يميل إلى أهل العلم ويجالسهم ويتشبه بهم وربما قرأوا عليه ولم يكن عالماً ولكن كان يحب التظهر بالعلم فيساعد على ذلك علماء حضرته رغباً ورهباً».

وقد استمر على هذا الحال في حروب متواصلة وقتال مستمر ومطاردات للخصوم والجور في حكم الرعية والتنقل من مكان إلى آخر فمن المنصورة بالحجرية إلى حصن هران في ذمار إلى الخضراء برداع التي صارت في عهده مدينة كبيرة ثم انتقل أخيراً إلى المواهب وهو «قلعة في عنس شرقي مدينة ذمار» ومثلما كان يغير القابه من لقب إلى آخر كان يغير أماكن تواجده وانشغل بالحصون وبالاستعداد الدائم للحروب وهو بذلك الاسلوب والمنهج حكم مايزيد عن ٣٠ عاماً لم يحقق فيها منجزاً ولم يصنع أمراً مهماً للناس سوى جبي الخراج وجمع الأموال والتحصن في القلاع ومثلما كان الحصار عليه قد ضُرب في أول عهده عند دعوته في المنصورة بالإمامة بالحجرية ضُرب عليه الحصار من جديد من مناوئيه في المواهب ولكنه هذه المرة لم يستطع المغامرة والقيام بالحروب التي خاضها في فترة شبابه لأنه هنا قد صار شيخاً كبيراً يتجاوز عمره ثمانون عاماً فسقط مسلماً الأمر والإمامة لإبن أخيه القاسم بن الحسين الذي حاصره لأشهر عديدة داخل معقله في المواهب بعد أن كان قد بيع قبله للإمامة الحسين بن القاسم بن المؤيد في شهارة وقد تغيرت الأحوال وتقاتلت الأطراف من جديد على من يكون الإمام ولكن الحال قد استقر في النهاية للقاسم بن الحسين الذي تلقب بالمتوكل رافضاً مبايعته السابقة للحسين بن القاسم، وبذلك انتهت فترة حكم صاحب المواهب محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم في ٥ رمضان ١١٣٠هـ ١٧١٨م ودخلت البلاد في طور جديد على هذا المنوال ولم تخرج دائرة الصراع الأسري على الحكم الى أفق آخر يوفر الاستقرار والأمن للناس وإحلال ثقافة التنمية بدلاً من ثقافة الحرب والرشوة والغنيمة وسرقة أموال الدولة ليعيش اليمنيون في واقع جديد مثل سائر شعوب العالم المتحضرة..

ومن الجدير هنا قبل الختام التوقف بعد هذه المرحلة وقبل استكمال موضوع الصراع الأسري على الحكم في مرحلة الأئمة الزيديين عند مشاهد نستخلصها مما جرى داخل العائلة الواحدة لنعرف حقيقة ما جرى على اساس أن تقوم الأحكام بناءً على وقائع صحيحة وعدم التعميم في كل الأمور، فهناك ظالم ومظلوم.. عادل وجائر.. من له حق ومن هو على باطل وسنجد عند تناول الصراع الأسري على الحكم في الدول السنية.. انه واقع مرير في كل الأحوال بل وأشد مرارة.. والمسألة التي يستوجب تناولها في هذا السياق هو البنية الاجتماعية والثقافية ودورها في مسيرة هذا الصراع التاريخي، وهو ما سيتم تناول ذلك فيما بعد.. ■

الإمام صاحب المواهب

■ كان الناصر محمد بن احمد بن الحسن يضرب أخماساً بأسداس وهو محاصر داخل قلعة المنصورة بالصلو من بلاد الحجرية من قبل خصومه السياسيين من أهله وذويه ومن أقرب الناس إليه «إبنه وأخوته» يقودهم يوسف بن المتوكل على الله الذي دعا إلى نفسه بالإمامة من جديد وقاد الجموع للإطاحة بالإمام الذي تم مبايعته على التو، ولم يمضي عليه أشهر فأحاطوه من كل جانب ومنعوا عنه الداخل والخارج وسقطت مناطق نفوذه بأيدي خصومه، تعز وبقية المناطق ولم يبقى تحت يده سوى المنصورة في أعالي الجبل حتى القبائل المجاورة له يشتريهم بالرشوة والمداراة ويمنيهم بالسياسة ليسلم جانبهم ويمنعهم من مهاجمته والسير في طريق أعدائه.

شائف علي الحسيني

لجنة الدفاع عن حقوق المساجين بين الصفة القانونية والإفلاس الحزبي

■ يتعمق للأسف مع مرور الأيام عجز وضعف الاحزاب المعارضة أو أحزاب ما يسمى باللقاء المشترك عن تبني برامج وأطروحات وأفكار تعبر عن المجتمع وتخدم العمل الحزبي والسياسي والديمقراطي في الجمهورية اليمنية، فالاعمال والمبادرات التي تقدمها تتصف بالتخبط والغموض واللهث وراء ما يسمى بالحراك الجنوبي والتخفي وراء مطالبه لكسب الجماهير واستجداء عواطفهم وتجيير المواطنين والقضايا المطلبية المحقة لتصب في جيوبهم وتحسب انتصارات في معركتهم الوهمية مع السلطة والحزب والحاكم والدولة والنظام والدستور والقانون،

فائز بن عمرو

فهذه الاحزاب عاجزة حتى الآن ومستقبلا عن تقديم أي حلول ديمقراطية وقانونية ووطنية تصب في مصلحة الوطن أولا وتعالج بشكل صادق وجريئ ما يتطلع له الوطن والمواطن لأن بعضها نشأت لتمارس نشاطات غير انتخابية وبها مجموعات وثقافات ترفض الثقافة الديمقراطية ولا تتحمس للجمهورية والدولة الحديثة وتقف بعض جماعات هذه الاحزاب موقفاً رافضاً ومعادياً لهذه الأفكار الحديثة وللنظرة المستقبلية، فهذه الاحزاب تقبل بالفدرالية إذا كانت ستحقق لها مكاسب وستضمن تربعها على رقاب الوطن ومواطنيه وهي ترحب بالحلول غير الدستورية والقانونية وغير الديمقراطية إذا كانت هذه الحلول ستوصل قادتها ومتنفذيها للسلطة بغير الطرق القانونية والشرعية، وهذا ما شهدناه في المناصرة القوية المطروحة في مبادرة ما يسمى برؤية الإنقاذ الوطني التي تقترح إقامة مؤسسات غير دستورية وغير قانونية تتولى حل قضية اليمن تحت مظلة خارجية وبضمان دول أجنبية ومنظمات غربية استخباراتية، وتناست هذه الاحزاب المؤسسات الشرعية والدستورية مثل مجلس النواب ومجلس الشورى والمجالس المحلية المنتخبة والبرامج الانتخابية التي قدمتها الاحزاب وفازت بموجبها بالشرعية التي أعطتها الجماهير للأحزاب وممثليها في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية والمحلية. . ويبقى التساؤل هل تطرح هذه الاحزاب المبادرات المتناقضة والخارجة عن العمل الحزبي والممارسة الديمقراطية لأغراض خيرية أم لمصالح ذاتية نفعية ضيقة تنظر تحت إقدامها ولا تبعد النظر والفكر في مستقبل الوطن اليمني وأبنائه وتثبيت مصالح الوطن في واقع إقليمي ودولي متغير ومتربص بأكبر قوة بشرية وسكانية وجو إستراتيجية في منطقة لا تمتلك أي دولة في المنطقة مثل هذه المقومات وتهدف هذه القوى الإقليمية وذات المذاهب الفكرية التوسعية والاستعمارية لإضعاف اليمن وجعله ساحة لتصفية حساباتها الخارجية على حساب اليمن وأبنائه وتقدمه ونموه، وقد صرحت هذه القوى بهذه الأطماع مجاهرة أمام العالم وخاصة في وسائل الإعلام، فمن يراجع قناة العالم الايرانية الناطق الرسمي باسم دولة إيران ونظامها تكاد لا تصدق ما يقال فيها وما يبث فيها من استهداف لليمن وحتى وصل الأمر إلى وصف ما تقوم به القوات المسلحة والحكومة اليمنية في الدفاع عن الوطن وأبنائه وترسيخ القانون بالقول إنها قوات احتلال، وتسوى هذه الأفعال البطولية لقوات الجيش والأمن بما تفعله إسرائيل في الأراضي المحتلة !.

هذه أحزاب مفلسة حزبيا فهي أحزاب نشأت تحمل وتتبنى أفكارا غريبة لا تمس لليمن وثقافتها وتركيبته الاجتماعية والدينية، وبعضها أحزاب طائفية ومناطقية ومذهبية تطمح لاسترجاع أمجادها الماضية التي جاءت على جماجم ودماء أبناء اليمن واستغلت بعباءة الدين والجهل والخوف والفرقة والتناحر ونراها اليوم حين عجزت عن التنافس عبر الصندوق الانتخابي والممارسة الديمقراطية والحزبية رفضتها ونبذتها إما بطريقة مباشرة برفضها العمل الحزبي والسياسي ووصف النظام الجمهوري الدستوري بالكفر والردة ولم تكتف هذه الاحزاب الظلامية أو من ناصرها بالرفض بل سعت إلى حمل السلاح وتهييج المواطنين وعملت على الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، إما على أساس طائفي أو على أساس قبلي أو على أساس ديني ومذهبي أو على أساس مناطقي، وبعض هذه الاحزاب لم تستطع ولم تتمكن من التصريح والجهر بأفكارها ومواقفها فعملت على إتباع سياسة تقديم خطوة والتأخر خطوتين، فطبعت هذه الاحزاب المعارضة غير الديمقراطية وذات التوجهات والطموحات التسلطية سياسة البين بين واختارت المواقف المائعة غير الواضحة فهي تؤيد الحراك الجنوبي مرة إذا كانت لها مصلحة وأخرى ضده ولا تقبل به، وهي ترفض قتل الأبرياء في صعدة وترى أن ما يحصل هو نشر لثقافة الكره والقتل كما جاء في بيان أحزاب اللقاء المشترك، وحين شعرت أن قوات الأمن والجيش البواسل دكت قوى الظلام والتآمر تذكرت أن ما يحصل في صعدة من قبل الجيش والدولة هو دفاع عن الدولة ووحدتها وأمن مواطنيها وأن ما يجري يحصل في سياق نشر ثقافة الدولة وفرض القانون وحماية المواطنين ومطاردة العابثين والمخربين لها من مفارقة غريبة هزلية ! ، وبعض هذه الاحزاب المعارضة انتهجت سيادة الاستثمار والترويج للازمة اليمنية وتضخيم الأمور وهذه الأزمة هي أصلا في ذهن وفكر هذه الاحزاب ولا تستطيع العيش والتضخم إلا في ظل سياسة الأزمات والصراعات فتقدمت هذه الاحزاب العبقرية بمبادرات ظاهرها الوطنية وبذريعة الحفاظ على الوطن والحرص على وحدة أرضه وشعبه وباطنها الخيانة الوطنية وتأسيس لمراجع ومؤسسات غير دستورية وتقديم مبادرات تخدم أهدافها وتكبر أحجامها وتعطيها أدواراً وتسلطها على رقاب الوطن والمواطنين لتصبح هذه الحلول والمؤسسات البديلة هي الخيار المستقبلي وتصبح ثقافة الصندوق الانتخابي والتنافس الحزبي والسياسي أثراً من الماضي لا يمكن الرجوع إليه لان الواقع تجاوزه كما تقول كثير من الاحزاب حينما تسأل عن استعداداتها للاستحقاق الانتخابي القادم لانتخابات مجلس النواب مع العلم أن هذه الاحزاب خاضت حربا ضروسا لتاجيلها ولتغيير مواد في قانون الانتخاب وحين استجابت السلطة والحكومة فرت هذه الاحزاب وتعلقت تحت مطالب غير مبررة وغير مقبولة.

بعض الأحـزاب طائفيـة ومناطقيـة ومذهبية تطمح لإسترجاع أمجادها التي جاءت على جماجم أبنا ء اليمن

ومن منجزات أحزاب اللقاء المشترك وخاصة حزب الإصلاح العتيد في محافظة حضرموت ومن العبقريات التي يتبعها ويتماشى معه ما يسمى بلجنة الحقوق المدنية والدفاع عن المساجين بالمحافظة التي يرأسها رئيس حزب الإصلاح في محافظة حضرموت، وتصرح هذه القيادات الحزبية ذات المواقف المتناقضة والمضطربة بان هذه اللجنة قانونية وذات مطالب حقوقية وليست لها مطامع حزبية.

حقيقة هذه الخطوة أن هذه الاحزاب والقيادات في المحافظة وقفت بشكل صريح مع الحراك وفكره وأعماله ووصف بعضهم ما يتبناه هذا الفكر بالمواقف الوطنية ولاقت أعمال التخريب ورفع الشعارات غير الوطنية تمجيدا وتاييدا ومباركة من هذه القيادات، لكن هذه الأفكار المتطرفة للحراك الجنوبي لم تعترف بهذه القيادات وهذه الاحزاب لأنها تؤمن بان هذه الأحزاب ترفع هذه الشعارات لكسب أنصار ومؤيدي الحراك ولتتاجر بقضية الجنوب كما يقول قادة الحراك، فرفض قيادة الحراك في محافظة حضرموت الحضور والتقارب مع أفكار هذه الاحزاب بل أنهم رفضوهم كليا وصرحوا في أكثر من موقف أنهم أعداء ومرتزقة ونحو ذلك من الألفاظ السلبية والقاسية، وهذه القيادات والأحزاب الوهمية تعودت على فكر وسياسة التحريض والاستغلال الأعمى لعواطف الناس وتحريكهم باتجاهها وإبداء التعاطف الزائف مع قضاياهم حتى وأن خالفت فكرهم ومعتقدهم.

المهم عند هذه الاحزاب هو كيفية استغلال كل موقف وكل حدث ليتم صرفه انتخابيا وسياسيا، ولما وجدت هذه القيادات والأحزاب ان الشارع وقيادات الحراك والأهالي والمواطنين رفضوها وعاف كثير من أهالي المعتقلين خدمات هذه القيادات وأحزابها استغلت هذه الاحزاب وقياداتها في المحافظة غطاء المطالب الحقوقية ولعبت على وتر العواطف وأطلاق المعتقلين وزعمت هذه القيادات الحزبية النفعية واقسمت بأغلظ الأيمان أنها لن تعود لسابق عهدها وأنها هذه المرة لن تستغل هذه القضية سياسيا وحزبيا ولن تسيسها لصالحها.

والمؤسف في هذه السياق ان تستغل هذه القيادات والأحزاب شخصاً وطنياً وله مواقف قوية في الدفاع عن حقوق الإنسان والمواطنين وهو يرفض أفكار هذه الاحزاب النفعية وممارساتها، فكيف يرضى الأستاذ حسين باصالح ان يكون مطية ينتفع به الآخرون ويوجهونه إلى لتحقيق مقاصدهم وأغراضهم المشبوهة وإلا كيف سيفسر الأستاذ الفاضل وهو المتخصص في الدفاع عن حقوق الإنسان ويملك صفة قانونية وشرعية وهو شخص مستقل وغير حزبي ينأى دائما بعمله وفكره عن الاحزاب وممارساتها ان يقبل بشخص قيادي حزبي له مواقف معروفة وحزبية ان يرأس هذه اللجنة وان يكون على رأسها المفروض ان يكون باصالح هو رئيس اللجنة لأنه متخصص في مجال الحقوق والحريات وهو يوجه عمل هذه اللجنة لأنه حينئذ سيكون مقبولاً من الجميع دون استثناء ولن يستطيع اي شخص أن يشكك في مصداقيتها وعملها واتجاهها الحقوقي غير السياسي والحزبي.

إن القبول بان يرأس هذه اللجنة المستقلة وصاحبة المطالب والحقوق المدنية غير السياسية من قبل قيادي حزبي هو قتل لهذه الفكرة ووأد لمشروع جيد وذي مطالب محقة وقانونية ودستورية، نرجو من القيادي في مجال الحريات والحقوق أن لا ينساق مع عواطفه ويقبل أموراً لطالما رفضها ولا تليق بمن هو دونه فكيف وهو القامة الكبيرة وصاحب الخبرة السياسية الكبيرة ووفق الله الجميع لعمل الصواب.□

هؤلاء خبثاء فاحذروهم!!

صالح علي الحنشي

■ أصبح واضحاً أن هناك فهماً مغلوطاً عن حقيقة الأسباب الكامنة خلف ما تشهده بعض المحافظات من أعمال شغب وتخريب.

هذا ما تكشفه المعالجات المتبعة التي تُتخذ من قبل الحكومة، لتلافي المشكلات القائمة.. ولا أعتقد أن هناك حكومة في أي مكان في العالم لا تريد أن تستقر الأوضاع في البلد التي تحكمها.

بقي لنا أن نبحث من أين أتى هذا الفهم الخاطئ.. هل هو ناتج عن قراءة خاطئة للواقع جاءت لسوء تقدير أو لقصر فهم؟ أم أن هناك تضليلاً متعمداً من قبل من أوكلت اليهم هذه المهمة؟

في تقديري وبحسب مؤشرات ومعطيات يحكيها الواقع أن هناك من يتعمد التضليل.. وبطريقة منظمة ومحكمة.. ولأهداف خبيثة.. ليس كما يعتقد البعض أنها ربما لمصالح ذاتية فقط.

هذا التضليل هو سبب تبديد تلك الإمكانات الهائلة التي بُذلت منذ اندلاع تلك الأعمال قبل ثلاث سنوات دون أن تجدي في شيء على أرض الواقع.

كما كان أيضاً سبب تمدد تلك الأعمال الفوضوية في أكثر من محافظة وأكثر من منطقة.. ومكن العناصر المأزومة من توجيه ردة الفعل صوب ثوابت الوطن.. بعد أن استغلت يأس البسطاء جراء اتباع الحكومة تلك المعالجات الخاطئة التي وجد أنها لا تلامس مشكلاته.. اليوم لم يعد الجرم الذي ارتكبه البعض هو التضليل وحسب بل إن الجرم الأكبر هو إهدار الإمكانات الهائلة التي بُذلت في غير محلها على ضوء مشورة من ضللوا القيادة ونقلوا صوراً مغلوطة تجافي الحقيقة.. الحقيقة التي لاشك تعمدوا اخفاءها.. ويتحملون أيضاً مسئولية إهدار الوقت الذي يجعل الحلول أكثر كلفة اليوم.. مقارنة بما قبل ثلاث سنوات نحن غير معنيين بكشف اسمائهم أو مواقعهم.. لكننا معنيون بالتأكيد على مسئوليتهم عن استفحال المشكلات في بعض المحافظات، والتأكيد على قيامهم بذلك عمداً.. وعن إدراك.

اليوم تكشف الكثير من الممارسات للبعض أنهم مازالوا يلوكون الصراعات القديمة ولم يتجاوزوا الماضي بعد.. مازالوا مسكونين بذلك الماضي وبأدق تفاصيله.. ومحكومين بها.

اليوم علينا أن نحذر أولئك الخبثاء ونعيد النظر في كل ما جاءت به مشورتهم.. وفي كل ما يطرحون.

تعقيب على تعقيب الضرائب:

كنا لا نود الخوض في بعض التفاصيل، وكما قلت سابقاً ما كان يهمنا هو تعنت المركزية في بعض الإجراءات التي لا تتطلب ذلك التعنت.

لكن أرى اليوم أنه أصبح لزاماً عليَّ أن أوضح عدم صحة ب